

نفحات القرآن

[130] أعظم الظلم نقرأ في الآية الرابعة تعبيراً مهولاً حول الشرك على لسان لقمان حينما كان يعرّط إبنه بقوله (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) . ولقمان وإن لم يكن نبياً - كما هو المشهور - إلا أنه كان رجلاً حكيماً ومفكّراً وقد أيّد القرآن علمه وحكمته وجعل كلامه في عرض كلام الله عزّ وجلّ ، وبالتأكيد أن مثل هذا الرجل بعلمه وحكمته وإحساسه بمنتهى المسؤولية تجاه إبنه فإنّه يقدّم له أخلص النصائح والمواعظ . النصيحة الأولى من النصائح العشر التي ينقلها القرآن الكريم عن هذا الرجل الحكيم لإبنه هي النصيحة بالإحتراز المطلق من الشرك ، ممّا يدلّ على أن الأساس في بناء الفرد والإصلاحات الفردية والإجتماعية والأخلاقية كلّها ، هو مقارعة الشرك بكلّ إشكاله وصوره ، وسيكون لنا كلام - بإذن الله - في بيان العلاقة بين الشرك وبين هذه القضايا . وقد إحتمل بعض أن ابن لقمان كان مشركاً فنهاه أبوه ولكن - كما يقول بعض المفسّرين - : يمكن أن يكون الكلام على شكل تحذير وذلك لأهميّة القصيّة نظير ما ورد في الآية السابقة من تحذير إلهيٍّ للأنبياء . والتعبير بـ (ظلم عظيم) ذو مضمون كبير ، فالظلم في الأصل يعني كلّ إنحراف عن الحقّ ووضع الشيء في غير محله ، وأسوأ أنواع الظلم هو الظلم الذي يكون بحقّ الله ، عباده ونفسه ، وهكذا الشرك . فأبى ظلم وإنحراف أشدّ من جعلهم موجودات لا قيمة لها بمستوى خالق السماوات والأرض وجميع الموجودات ؟ وأي ظلم أشدّ على عباد الله من إنحرافهم عن جادّة التوحيد النورانية إلى ظلمات الشرك ؟ وأي ظلم أشدّ على النفس من أن يؤجّج الإنسان ناراً ليحرق فيها حصيلة أعماله الصالحة ويحوّلها